# كلنا كنان

## تقرير عبد المقصود

**كنان في العاشرة من عمره.. أزرق العينين.. أشقر ..**
**تشعر وكأنه أحد أطفال الإعلانات الذين تراهم يوميا وتتمنى أن تنتزعهم من داخل شاشة التلفاز لتطبع على وجوههم قبلة حانية..**
**لم يكن كنان طفلا عاديا، بل كان دائما مميزا.. يحبه الجميع وتحيطه الأنظار من كل اتجاه..**
**كانت جاذبيته تطغى على كل شيء..**
**ابتسامته ساحرة بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ.. تقف أمامه عاجزا عن التعبير..**
**لكنه كان دائم الشرود والتأمل.. يعيش حياة هادئة وجميلة بين أبوين رائعين وعلى التوازي من تلك الحياة يعيش حياة خاصة لا يعرفها سواه ولا يسبر أغوارها غيره.. يرفض أن يشاركه فيها أحد؛ فهي ملاذه الوحيد وملجؤه الصامت..**
**لم يكن كنان يوما عنيفا أو يحمل في قلبه ضغينة لأحد.. فعلى الرغم من صغر سنه فإنه يتكلم معك وكأنه شاب في مقتبل العمر أو عجوز في الستين أحيانا..**
**كان دائم الاهتمام بلعبه، ويعطيها أكبر مساحة من وقته؛ فهي الوحيدة القادرة على الدخول إلى عالمه الغريب ومشاركته أدوار البطولة..**
**لكن البطلة دائما في كل الأدوار والتي تحتل مكانها بقوة في قلب كنان كانت**



obeikan.com

عروسا خشبية قديمة جدًّا، كانت جدته قد أهدتها له قبل وفاتها وقد أطلق عليها اسم جدته «الجدة مجيدة»..

كنان عدَّاء ماهر.. الجري رياضته الأولى وهوايته المفضلة، لكنه كان يخشى الاشتراك في أي مسابقة، على الرغم من كفاءته ومرانه المستمر اللذين يؤهلانه إلى الفوز، إلا أنه كان يخشى دائما مواجهة الناس..

نسيت أو تناسيت أن أقول لك: كنان طفل بلا ذراعين..

كانت مشكلة كنان الوحيدة هي ذراعيه.. كان يخجل من الوجود في أي تجمع به ناس، وعلى الرغم من صغر سنه فكانت تؤلمه نظرة الشفقة، كان يفهمها جيدا وقد اعتاد عليها.. كان من داخله يسمع لسان حال الناس وهي تقول:

«يا خسارة، الحلو ما يكملش».. «لا إله إلا الله، نصيبك يا بني.. ربنا يصبرك»..

كان يعلم أن الناس لا تنطقها بألسنتها، لكنها تقولها بعيونها..

كان يشكو حاله إلى الله فكان يصلي وهو في السابعة من عمره ثم يجلس ليحكي همومه لـ«الجدة مجيدة»..

كان يخبر والديه أنها تواسيه وتخفف عنه ويخبرهما بالكلام الذي تقوله له، فكانا يبتسمان على تلك التخيلات الطفولية..

كنان دائما يحمل بداخله تذمرا من كونه قد خُلق بلا ذراعين..

كان يسمع الكثير عن القضاء والقدر والرضا به.. فكان يخفي غضبه بداخله ويحاول التأقلم مع حياته..

وتمر الأيام.. وكنان على نفس الحال.. حتى يعلن النادي الذي يتدرب به كنان عن مسابقة للجري ستُجرى لها تصفيات كبيرة؛ حيث سينافس الفائز على بطولة العالم.. بات كنان يحلم بالمسابقة والفوز والجائزة التي كانت قضاء ثلاثة أيام في إحدى الدول الأوروبية مع جائزة مالية كبيرة.. لكنه اختار لحياته العزلة في عالمه الخاص..

غدا هو آخر ميعاد للتقديم في المسابقة، ووالدا كنان يحاولان إقناعه بالمشاركة، لكن يبدو الأمل منعدما..

جلس كنان حزينا بعد العصر في حديقة المنزل يلعب وحيدا ويشكو لـ«الجدة مجيدة»..

فترد عليه الجدة قائلة: ولِمَ لا تشترك في المسابقة يا كنان ونسافر أنا وأنت في نزهة خارج البلاد؟ فأنا واثقة من فوزك بإذن الله..

ليرد كنان: لكن يا جدة سيشاهدني الجمهور وسيقولون كم هو مسكين ذلك الفتى.. سيشجعونني شفقة وليس حبا ويتمنون لي الفوز إحسانا إليَّ وليس تشجيعا..

ارتسمت على وجه الجدة مجيدة ابتسامة حزينة وقالت لكنان: لنأخذ جولة خارج الحديقة يا صغيري.

وافق كنان، فقد كان حزينا يريد أن يسير قليلا لعله ينسى همه..

وأخذ كنان يسير هو والجدة مجيدة حتى سمعا فجأة صوت استغاثة من منزل يحترق.. ليجدا رجلا عجوزا يخرج من المنزل قائلا: «حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا كنان».

استغرب كنان بشدة، لكن ما أثار دهشته أكثر هو رؤيته لشاب بمقتبل العمر جميل الهيئة، لكن يبدو أنه سيئ الخلق يلتف الناس حوله لإمساكه وهو يمسك في يديه علبة الثقاب، فقد أحرق المنزل لصاحبه لأنه رفض توظيفه في الشركة التي يملكها حيث وجده غير مؤهَّل.. كان ذلك الشاب يشبه كنان لدرجة لا تصدق، لكنه أكبر سنا ويملك ذراعين!!

لم يتفهم كنان ماذا حدث وما المقصود، لكنه لم يسيطر عليه سوى شعور واحد في هذه اللحظة، هو أنه تمنى في تلك اللحظة لو أنه لم يمتلك يدين.. يدين تحرقان المنزل وتجعلان الناس تكرهه وتجعلانه ظالما يدعو عليه مظلوم دعوة لا ترد ليس بينها وبين الله حجاب..

لم تفاتحه الجدة مجيدة فيما حدث، لكنهما استمرا بالسير معا حتى وجدا

رجلا يبدو وكأنه في أواخر العقد الرابع أو بداية الخامس من عمره يلهث من الجري، يحمل في يديه حقيبة كبيرة وخلفه أناس كثيرون يتعقبونه.. في تلك الحقيبة التي يحملها كان يوجد مبلغ مالي كبير سرقه من الشركة التي يعمل بها..

إن ذلك الرجل كان يتطابق وجهه مع وجه كنان الصغير، لكن تبدو عليه بعض علامات التقدم في العمر وكان له يدان أيضا!

كان الشعور الوحيد المسيطر على كنان في هذه اللحظة هو أن يحمد ربنا على أنه لا يمتلك يدين يسرق بهما وتكونان سببا في دخوله النار وغضب الله عليه..

واستمرت الجدة مجيدة صامتة، واستمرا بالسير معا حتى وجدا رجلا في الستين من عمره يضرب قطا صغيرا ويلقيه بعيدا لأنه أفسد له ترتيب الزرع في حديقة منزله.. فتدهس القط سيارة مسرعة ليموت تحت عجلاتها..

اشمأز كنان من ذلك الرجل بشدة وأسرع نحوه ليوبخه وقبل أن يصل سمع جاره يقول له: كيف تجرؤ يداك يا كنان على إيذاء روح من عند الله، قط ضعيف مخلوق ليس له حول ولا قوة؟

بُهت كنان عندما عرف أن ذلك الرجل اسمه كنان أيضا..

على الرغم من سن كنان الصغيرة فإنه بدأ يستوعب الحكمة مما يحدث ويفكر فيه.. كان بداخله كلام كثير ومشاعر متضاربة، لكنه لم يستطع الكلام..

وفجأة وعلى الجانب الآخر من الطريق يرى كنان شابا مسرعا يضحي بحياته ويندفع كالصاروخ لينقذ طفلا صغيرا أفلتته يد أمه قبل أن تدهسه سيارة مسرعة..

ويتدافع الناس نحو الشاب يشكرونه بشدة ويدعون له ويقولون: هكذا أنت دائما يا كنان، معطاء ومضحٍّ وتساعد الجميع..

أكرمك الله أيها الشاب وجزاك كل الخير..

ما لفت نظر كنان هو أن ذاك الشاب كان بلا يدين!!
وهنا ارتسمت الصورة كاملة في ذهن الصغير ليجد الجدة مجيدة تقول له:
إن الإعاقة يا بني ليست إعاقة الأبدان.. بل إعاقة القلوب والأرواح..
فالعجز الحقيقي في بُعد القلوب عن ربها واقترابها من منحنيات الخطر..
منحنيات تجعل من يسير عليها يتمنى الموت ألف مرة بدلا من تلك الحياة الضالة الفاسدة البعيدة عن الله في كل محتواها والتي تجعل الأرواح والقلوب كالكهوف المظلمة.
يعلو صوت الأذان من مسجد قريب فيخبر كنان الجدة أنه سيذهب إلى الصلاة، ودخل كنان المسجد ووجد الإمام يقرأ هذه الآية الكريمة في الصلاة: «وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ».
ثم التف الشيخ بالناس في حلقة درس بعد الصلاة.
لم ينضم كنان إلى الحلقة فقد همَّ بمغادرة المسجد؛ لأنه تأخر على منزله، لكن أذنيه التقطتا ثلاث عبارات كان دويًّها عليه عنيفا:
«وما منعك إلا ليعطيك»..
«الله أعلم حيث يجعل رسالته»..
«كل شيء عنده بقدر»..
وفجأة سمع كنان صوتا مألوفا ينادي عليه بحنان: كنان.. كنان. استيقظ يا صغيري، لقد حان وقت تناول الطعام..
استيقظ كنان متفاجئا من نومه يبحث عن الحريق.. عن السرقة.. عن القط.. عن الطفل الذي أُنقذ.. يبحث عن المسجد والإمام والمصلين، لكنه لم يجد شيئا سوى وجه أمه مبتسما إليه بحنان: هيا يا بني والدك ينتظرنا على الطعام..
أخذ كنان يحكي لوالديه عن حلمه، وعندما انتهى ردد جملة:
«الحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به غيرنا»..
«لم يمنعني الله نعمة اليدين إلا ليعطيني الخير الكثير ويمنع عني شرا كبيرا».

أكمل كنان حديثه قائلا: إني احزن أحيانا لأني أعرض عن قضاء الله، لكنه إحساس العجز المميت..

يبتسم الأب ابتسامة حانية ويقول لكنان:

يا بني إن العجز ليس عجز اليدين أو القامة.. لكن العجز الحقيقي عجز الروح والهامة..

لا يمنعنا الله من أشياء نحبها دائما غضبا منه علينا، بل قد يكون هذا رحمة بنا وخيرا كثيرا تحمله الأيام لنا..

«وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ».

تستطرد الأم قائلة:

يا بني كلنا كنان.. كلنا أنت.. كل شخص منا لديه شيء مُنع عنه فالدنيا مقسمة أرزاقها بالعدل من العدل والحق تبارك وتعالى.

كلنا أنت يا كنان، لكن على اختلاف الأدوار يا صغيري فلا ننظر إلى ما أعطانا الله من الكثير بل نركز انتباهنا دائما على ما نقصنا من القليل..

الله لا يأتي لنا ولا يريد بنا إلا الخير.. تذكرها دائما وانقشها على قلبك.. إن الله لا يمنع عن أحد شيء إلا عوضه بالخير له..

كلنا نرجو الراحة والنعيم في دنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة ولا ندرك أن الراحة الأبدية والحقيقية في جنة عرضها السموات والأرض أُعدت للمتقين..

لم يتفهم كنان كل الحديث، لكنه فهم معظمه وفهم الغرض منه.. تذكر كيف كرهه الناس حينما كان شريرا وكيف أحبوه حينما ضحى بحياته من أجل الخير..

الإنسان ليس يدين وقدمين ولسانا وعينين وأذنين وغيرها من بقية الأعضاء، بل الإنسان الحقيقي روح صالحة وقلب طاهر وعقل راجح وضمير نقي.. يسخر أعضاءه للخير ورضا الله سبحانه وتعالى..

قطعت والدته تفكيره لتقول له:



obeikan.com

أما زلت رافضا الاشتراك في المسابقة؟
رد كنان قائلا: لا يا أمي، سأشارك وسأفوز بإذن الله.. ثم ابتسم ابتسامة ذات معنى: وسآخذ الجدة مجيدة معي في رحلة نطوف بها العالم..
خرج كنان للعبة في الحديقة واحتضن عروسه الخشبية -الجدة مجيدة- بقوة..
وأخذت والدته تردد:
«نعم كلنا كنان.. كلنا أنت يا صغيري».

obeikan.com

obeikan.com